ارضهم وتختلط الارض بهم ليسهما معا في استكمال صناعة تاريخ المنطقة ٠

الى هنا يبدو التناظر تكامليا ، داخل الاسرة الواحدة ، لكنه لا يبقى كذلك في حالات التعارض ، والتعارض قاسمه المشترك اهل اريحا الفلسطينيون ، فهم من جهة يصطدمون مع السلطة الاردنية المتحكمة ، ومن جهة يصطدمون مع الاحتلال ٠ وفي حال التعارض مع السلطة ينجو الكاتب من ورطة وضع الجميع في كيس واحد ، فهو يميز جيدا بين شخصية عطوة الشرطي المسحوق صاحب الروح المرحة والهمة الوطنية العالية وبين شخصية الشرطي ادريس الحقير الذي يهين كرامة الشباب ، ويقص شعر محمد ليذله امام فتيات اريحا ، وعندما تبدأ الحرب يكون عطوة مع شعبه ، بينما يرتجف ادريس خوفا ويطلب السلامة ٠

اما في حالة التعارض مع العدو فليس هناك رحمة ٠ العدو هو العدو ، ولا حوار معه الا بالقتال ٠٠ ويخيل الي ان ذروة الصراع في هذه الرواية ، يرفعها رشاد ابو شاور في التضاد حتى الموت بين شخصيتي ابي خليل والخواجا داوود ، فأبو خليل الفلسطيني هو ابن الخضرة والارض ، هو امتداد الشجرة وحاميها ، لقد ظل يحرس الشجر خمسة عشر عاما ليكتشف فجأة ان هذا الشجر له وليس للاقطاعي البعيد : « انا منذ خمسة عشر عاما احيا تحتها ، اليد التي ستمتد لقطعها ستقطع ، هذه شجرتي ـ ص ٢٠٧ » وعندما يقع الاحتلال ، يظهر الخواجا داوود ، الصهيوني الدخيل ، المعني بالحجارة والعظام ، الباحث عن وهم تحققه الحجارة عله يثبت به حقا للصهاينة في اريحا ، ويطلب الخواجا داوود من ابي خليل ان يساعده ، لا في البحث عن حجارة بل عن اسماء المواطنين الفلسطينيين ، وعندها يحدث الانفجار الاهم في الرواية : يفقأ ابو خليل عيني الخواجا داود بعظمة من العظام التي يحلم الصهاينة ان تعطيهم حقا في فلسطين ٠٠ وعندما يبدأ الخواجا الاعمى بالتعثر بين الحجارة واطلاق النار على غير هدى، يتوغل ابو خليل في الخضرة ، فيحرسه الشجر الذي قام هو بحراسته طويلا ٠٠

□

يبدو مشروعا ان يبحث القارىء عن النمو الدرامي لهؤلاء « العشاق » ، ولكن قراءة متمهلة للرواية ستعفي الكاتب من هذه المهمة ، فشهر ونصف الشهر مدة اقصر من يتطور خلالها الناس ، ومع هذا فاننا لا نودع شخصيات هذا العمل كما استقبلناهم ، صحيح ان الفترة قصيرة ، ولكن الصحيح ايضا انها فترة بالغة الخطر والخطورة ، اذ لا شك ان هزيمة حزيران اختبار من النوع الذي يكفي ان يحدث مرة في تاريخ امة من الامم (ولا سيما اذا كانت على طريق التحرر الوطني) حتى يترك بصماته على ابنائها ويفتح امامهم باب المراجعة والحساب ، فكيف اذا كان هؤلاء الابناء من نوع « العشاق » الذين هم بغالبيتهم من المثقفين المشغولين بهموم الوطن والثورة ؟ على ان التأثير لا يقع على المثقفين فقط ، فالهزيمة شاملة ، والجميع يأخذ الدروس منها ، كل شخصية حسب وعيها واستعداداتها٠٠

في الفقرة الرابعة من قسم الحرب ـ في الرواية ـ يرتفع علم فلسطين ، للمرة الاولى منذ سنوات طويلة ، انها مفارقة فعلا فقد كان النظام يحول دون هذا العلم، وها قد سقط النظام مع الهزيمة ، والشعب يواجه الاحتلال ، ان ارتفاع العلم الفلسطيني فوق اريحا ، وفي وجه الاحتلال يعني ان تاريخا جديدا يبدأ ، ولقد عبر